رسالة امريكا

من

شريف الشوباشي

يقولون هنا:

ميلاد جديد لكارتر بعد كامب ديفيد

حين رأيت الرئيس الامريكي جيمي كارتر في الغرفة الشرقية بالبيت الابيض يوم الاحد ١٧ سبتمبر الماضي، وهو يوقع مع الرئيس انور السادات ومناحم بيجن اتفاقيتي كامب ديفيد ، شعرت ان هذه اللحظات هي لحظات فاصلة في حياة الرئيس الأمريكي سواء على المستوى الشخصي او على المستوى السياسي .

منذ ان دخل القاعة وحتى نهاية الاحتفال ، ظلت ابتسامة عريضة ترتسم على وجه الرئيس الامريكي . وبعد انتهاء التوقيع ، ذهب كبار المسئولين الامريكيين وكبار موظفي البيت الابيض لتهنئة الرئيس كارتر قبل اى شخص آخر . وكان كارتر يتلقى التهاني والابتسامة لا تفارق شفتيه وهو يتمتم : (شكرا ان فرحتي كبيرة هذه الليلة) ... (أنا سعيد للغاية بهذا الاتفاق) .

وقد مكثت في الولايات المتحدة لمدة تزيد على شهر بعد هذه الليلة التي تم فيها توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد . تجولت في خمس ولايات امريكية ، وناقشت العشرات من رجال الاعلام وبعض المسئولين ، وشاهدت عشرات من البرامج ونشرات الاخبار في التليفزيون الامريكي ، كما قرأت بانتظام أهم الصحف والمجلات التي تصدر هناك .

وفي كل يوم ، كان ادراكي لاسباب جو الفرح الكبير الذي عم على البيت الابيض يوم الاحد ١٧ سبتمبر يزداد ويتعمق ، وصورة الرئيس الامريكي والابتسامة العريضة تغطي وجهه عالقة في ذاكرتي . فتوقيع اتفاقيتي كامب ديفيد لم يكن في نظر الرئيس كارتر انتصارا للسلام في الشرق الاوسط وتجنب شبح المواجهة مع الاتحاد السوفييتي في هذه المنطقة الحساسة من العالم فحسب ، وانما كان يعني أيضا انتصارا شخصيا ضخما داخل الولايات المتحدة الامريكية .

وكان الرئيس الامريكي في مسيس الحاجة الى اى انتصار من هذا النوع . فمنذ مأساة فيتنام وفضيحة ووترجيت ، اصبح الرئيس الامريكي عرضة لهجوم عنيف من قبل الكونجرس ووسائل الاعلام والنقابات العمالية . وبدأت سلطاته تنكمش لحساب السلطة التشريعية . والى جانب كل هذا ، فقد هبطت شعبية الرئيس كارتر في الشهرين اللذين سبقا كامب ديفيد بصورة لم يسبق لها مثيل ، اذ اشار آخر استطلاع للرأى أن ٣٨٪ فقط من الامريكيين يؤيدون سياسة كارتر .

وكانت هذه النسبة هي أضعف نسبة حصل عليها رئيس امريكي منذ اختراع عمليات استطلاع الرأى . اذا استثنينا الرئيس السابق ريتشارد نيكسون الذي هبط عدد مؤيديه الى أقل من ٣٥٪ في احلك أيام فضيحة ووترجيت

ولم تضيع وسائل الاعلام الامريكية وقتها كثيرا ، بل بدأت على الفور البحث عن البديل وبدأ يتردد اسم ادوارد كيندي الشقيق الاصغر للرئيس الراحل جون فيتز جيرالد كيندي . لدرجة ان أحد المعاهد الكبرى المتخصصة اجرت استطلاعا للرأى ثبت منه ان ٥٨٪ من أعضاء الحزب الديمقراطي ، وهو حزب جيمي كارتر نفسه ، يرغبون في ترشيح كيندي في انتخابات الرئاسة القادمة التي ستجرى في عام ١٩٨٠ .

باختصار ، كان الجميع هنا يتحدثون عن كارتر على أنه رئيس الفترة الواحدة ـ اى رئيس يقضي في البيت الابيض أربع سنوات فقط ولا يعاد انتخابه ، وهي سوابق نادرة في تاريخ الولايات المتحدة .

وفي أغسطس ١٩٧٨ ، قرر الرئيس كارتر أن يتحدى الجميع . قرر أن يذهب الى آخر مدى في طريق حل النزاع العربي الاسرائيلي .. وجمع الرئيس السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجن في معسكر صغير بحيث لا يخرجون منه بغير اتفاق .

وكان الرجل يدرك ابعاد وخطورة ما هو مقدم عليه . فقد صرح قبل ان يعتزل في كامب ديفيد : (اذا كتب لهذا المؤتمر الفشل . فهناك خطورة اشتعال حرب جديدة في الشرق الاوسط) .. ثم يضيف (كما انني سوف اكون مشاركا بصفة شخصية في هذا الفشل)

وكان كبار موظفي البيت الابيض يصرحون علانية : (علينا الا نغرق في الاوهام .. اذا فشل مؤتمر كامب ديفيد ، فسوف يحكم الكونجرس البلاد الى حين انتخاب رئيس جديد

ويبدو ان كارتر كان يدرك تماما ان الشرق الاوسط هو فرصته الكبرى للسيطرة على الموقف في الولايات المتحدة نفسها . فقد صرح في ١٤ سبتمبر ١٩٧٧ لوزير خارجية فرنسا لوى دي جيرنجو : (الشرق الاوسط له أعلى الاولويات عندي . انه لا يمثل تعهدا شخصيا اخذته على عاتقي اثناء حملتي الانتخابية فحسب ، وانما هو فرصتي لاختبار وجلب واسكات الكونجرس . سوف أهزم المعارضة في الشتاء عن طريق الشرق الاوسط ..)

وبعد ثلاثة عشر يوما من العمل المضني ، بدأ في نهايتها الرأى العام الامريكي يعلق مما يحدث ، ويستعد لمحاسبة رئيسه على وقته الضائع في كامب ديفيد ، تمكن كارتر من أن يقلب كل الموازين رأسا على عقب .

في الساعة العاشرة والنصف من مساء الاحد ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، تمكن كارتر من احراز أكبر انتصار سياسي له على جميع المستويات .

وبدأ يجني الثمار من اللحظة الاولى . ففي الحال ، وفي نفس الليلة ، بدأ اعتى معارضي سياسة كارتر في الكونجرس وغير الكونجرس يكيلون المديح للرئيس الامريكي ، ويؤكدون على قدرته التفاوضية ونجاحه فيما فشل فيه كل من سبقوه .

حتى وسائل الاعلام الامريكية ـ وهي شديدة البخل في اطراء الرؤساء الامريكيين ، لم تكف عن تحية كارتر شخصيا ولمدة تزيد على اسبوع بسبب نجاحه في كامب ديفيد

وظهرت عناوين ضخمة ورنانة منها عنوان واحدة من كبرى المجلات الامريكية يقول (كارتر ... ولد من جديد) .

وبدأت الاثار الملموسة تظهر سريعا على ساحة السياسة الداخلية الامريكية . فوافق الكونجرس على مشروع خاص بالطاقة ـ وهو جزء من أهم أجزاء برنامج الطاقة الذي تقدم به كارتر منذ نحو عام ـ وهو مشروع كان يرفضه مجلسا الشيوخ والنواب بشدة قبل كامب ديفيد . ثم اعترض كارتر على مشروع اخر تقدم به الكونجرس ، فقامت لجنة برلمانية بتعديل المشروع ليتناسب مع وجهات نظر الرئيس الامريكي .

والامريكيون ـ كما قال لي رئيس وفدنا في الامم المتحدة الدكتور عصمت عبد المجيد ـ يعشقون النجاح . والنجاح هنا يولد النجاح . ولذا فان انتصار الرئيس كارتر في كامب ديفيد سيجلب له سلسلة من الانتصارات الاخرى على المستوى الداخلي ..

واليوم ، فان كل الدلائل تشير الى ان الحزب الديمقراطي ـ حزب كارتر ـ سيفوز بنصيبه الاسد في الانتخابات التشريعية الجزئية التي تجرى في هذه الايام ، بعد ان كان الجميع يرجحون انتصار الحزب الجمهوري المعارض .

ويتساءل الجميع في الولايات المتحدة الان : (الى متى يستمر سحر كامب ديفيد على الرئيس الامريكي ؟ هل هي نقطة انطلاق جديدة له مصحوبة بعودة الهيبة الى البيت الابيض بعد الضعف الذي اصابه على اثر فيتنام ووترجيت ؟ أم أن المسألة وقتية وستعود المشاكل الداخلية تسيطر على العلاقات بين الرئيس من ناحية والكونجرس والصحافة وقوى الضغط من ناحية اخرى ؟

هذا ما ستثبته لنا الايام القادمة . لكن المؤكد ان الرئيس الامريكي مصمم على المضي في طريق عقد اتفاق بين مصر واسرائيل ثم بين بقية الدول العربية ـ ان امكنه ذلك ـ واسرائيل . ويكفي ان شعبيته بعد كامب ديفيد قد ارتفعت فجأة الى ٥٢٪ . وامله كبير في المحافظة على هذا الرقم أطول مدة ممكنة .